

الأمير عبد القادر بين السلطان المغربي والخليفة العثماني

أ. نورالدين بلعريبي
أستاذ مساعد-جامعة خميس مليانة

الملخص:

يتناول هذا المقال العلاقات الجزائرية المغربية ممثلة في الأمير عبد القادر وسلطان المغرب عبد الرحمن، خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد سعى الأمير عبد القادر إلى اقحام سلطان المغرب في حربه ضد الفرنسيين لتلقي الدعم المادي والمعنوي اللازمين، لكن سلطان المغرب ونتيجة للضغوطات الفرنسية تخلى عن دعمه له، بل وأكثر من ذلك ساعد الفرنسيين في حربهم ضده، وهذا ما جعل الأمير يتوجه بأنظاره إلى الخليفة العثماني لتلقي الدعم المطلوب.

الكلمات المفتاحية: العلاقات؛ الأمير عبد القادر؛ السلطان المغربي؛ الخليفة العثماني؛ الاحتلال الفرنسي.

مما لا شك فيه أن الأمير عبد القادر يرمز إلى المقاومة المسلحة التي قادها ضد الاحتلال الفرنسي في بلادنا والتي نقل راحا حتى داخل التراب المغربي، وأن هذه الشهرة التي لم يحظ بها إلا القليل في تاريخ الجزائر كله لم تأت من كونه لم يكن، عندما وقع الغزو، واحدا من قادة الأيالة العسكرية ومع ذلك استطاع أن ينظم جيشا تمكن به من الوقوف في وجه الاستعمار مدة خمسة عشر سنة. بالإضافة إلى ذلك فإن الأمير عبد القادر واحد من القادة القلائل في العالم الإسلامي الذين دعوا إلى وحدة الصف بين العرب والمسلمين لأن المصير واحد وقد تنبأ لذلك قبل وقوعه.

لذا دعا إلى ضرورة إشراك المسلمين في المعركة المصيرية ضد الاستعمار وضد الفكر الصليبي لأنه كان على يقين أن ما وقع للجزائر لا محالة سيقع لسائر باقي الدول الإسلامية. فأرسل إلى علماء المغرب ومصر والدولة العثمانية يستفتيهم في أمر الجهاد ويحثهم على ذلك ويعبئ الشعوب الإسلامية إلى جانب الشعب الجزائري. كما أنه كان من الدعاة إلى وحدة الكفاح المغاربي حيث

راسل سلطان المغرب في هذا الأمر واستعطفه لتوحيد الموقف الجهادي.

فإلى أي مدى نجح الأمير عبد القادر في هذه المهمة وما موقف السلطان المغربي والخليفة من ذلك؟ وإلى أي مدى ارتبط مصير المقاومة بموقف الزعيمين من المقاومة؟ وهل كان موقف الأمير ثابتاً عندما ضاقت الدائرة؟

أولاً: العلاقة مع سلطان المغرب: هناك مجموعة من العوامل والدوافع ساهمت في رسم معالم العلاقة الجزائرية المغربية في هذه المرحلة يمكن حصرها كالآتي:

1 - كون الرجلان السلطان عبد الرحمن والأمير عبد القادر ينحدران من النسب الشريف للرسول عليه الصلاة والسلام وهذا ما تؤكد شجرة النسب فهم من أحفاد إدريس الأكبر الذي أصبح فيما بعد سلطان المغرب حيث أسس مدينة فاس ومن نسله مصطفى الحسنى ومحي الدين الذين استقروا في سهل غريس بمعسكر⁽¹⁾.

2- ينتمي الرجلان إلى طريقة صوفية واحدة وهي الطريقة القادرية⁽²⁾ التي تأسست في المغرب الأقصى، كما أن الأمير عبد القادر كان متأثراً أشد التأثير بعلماء فاس فما من أمر كان يواجهه يخص حركة الجهاد أو مصير هذه الأمة إلا و توجه بالسؤال إلى علماءها طلباً للفتوى⁽³⁾.

3- وجود طبقة هامة من علماء الجزائر الذين هاجروا إلى المغرب وبالذات إلى حواضرها منها مدينة فاس طلباً للعلم وهناك شكلوا مجلساً للفتوى يحتكم إليه الأمير عبد القادر في قضايا الجهاد.

4- وجود مواطنين جزائريين نزحوا إلى المغرب منذ القرن السادس عشر الميلادي بسبب انعدام الأمن والاستقرار في المنطقة الغربية بالجزائر بسبب بعض مظالم العثمانيين وقد تزايد عدد هؤلاء بعد أن تعرضت الجزائر للاستعمار الفرنسي خاصة بعد سقوط عاصمة الغرب الجزائري وهران في أيدي الغزاة⁽⁴⁾.

5- وجود روابط عائلية بين مختلف القبائل المغربية الجزائرية على الحدود في الغرب الجزائري والشرق المغربي إضافة إلى الروابط الدينية واللغوية والتاريخية والمصير المشترك، ومع قدوم الاحتلال بدأت عوامل اللحمة والتوحد تزداد ولا غرو إذا علمنا أن

- سكان هذه المناطق ساهموا مساهمة فعالة في صد هجمات الصليبيين بعد سقوط غرناطة يوم 2 يناير 1492م⁽⁵⁾.
- 6- دور محي الدين والد الأمير في التأسيس لهذه العلاقات منذ وقت مبكر إذ هو أول من اقترح على وجهاء وأعيان المنطقة الغربية التوجه إلى سلطان فاس لتنظيم حركة الجهاد حيث كان يرى أن القوة المنظمة لا تواجهها إلا قوة منظمة⁽⁶⁾.
- 7- أما محمد السعيد بن محي الدين فيقول: "أما الذي حمله على التوجه إلى المغرب كونه كان عادا نفسه منه، وفي أيامه كان يخطب باسمه على المنابر بتلمسان وأم العسكر ومليانة والمدينة وغيرها كمازونة ويمده بالأسلحة"⁽⁷⁾.
- 8- اتخذ الأراضي المغربية قواعد خلفية ينطلق منها الأمير وجيشه لمهاجمة الأعداء واتخاذها مركز للتدريب والتسلح.
- 9- تأمين الدائرة وإيجاد نوع من التضامن بين الشعبين.

ثانيا: أهداف الأمير عبد القادر من وراء هذه العلاقة:

- من أهداف الأمير عبد القادر تحسين العلاقات بين الطرفين الجزائري والمغربي والروابط مع السلطان عبد الرحمن والتي تدخل ضمن إستراتيجية الأمير الحربية ضد الاحتلال الفرنسي والتي منها ما يلي:
- 1- حاجة الأمير عبد القادر لحماية مولاي عبد الرحمن وذلك للحصول على المدد المادي والمعنوي كلما دعت الحاجة إلى ذلك.
 - 2- سعي الأمير عبد القادر إلى إقحام مولاي عبد الرحمن وجره إلى إعلان الحرب على الفرنسيين لإضعاف شوكتهم وتشتيت قوتهم بفتح جبهة جديدة في المغرب الأقصى و الحيلولة دون قيام علاقات ودية مغربية فرنسية تؤثر على قوة الأمير عبد القادر⁽⁸⁾.
 - 3- وجود الدائرة⁽⁹⁾ في المغرب الأقصى يكون بمثابة أمن لها ويكون لهم وللسلطان عبد الرحمن دافعا قويا لدعم حركة الجهاد الأميرية ولتزويدها بما تحتاج من سلاح وعتاد وعدة.
 - 4- وجود سكان الدائرة في المغرب الأقصى يساعد على شرح القضية الجزائرية، واستعطاف سكان المغرب المتأخمين للحدود الجزائرية المغربية بدافع الحمية الدينية والجهاد في سبيل الله.

5- إضعاف قوة الفرنسيين واستنزافها وتخفيف الضغط على حلفاءه في الداخل وذلك باعتماد إستراتيجية الكر والفر وعنصر المباغثة انطلاقاً من القواعد الخلفية في المغرب.

6- تشكيل جيش مشترك على الحدود المغربية الجزائرية بإشراك الأشقاء المغاربة في المعركة ضد العدو يعطي نفساً جديداً للمقاومة المسلحة(10).

7 - توسيط المغرب الأقصى في العلاقات الجزائرية الإنجليزية قصد الحصول على الأسلحة الحديثة والذخيرة الحربية والمدرّبين العسكريين خاصة إذا علمنا أن الإنجليز يتحكمون في التجارة عامة والأسلحة خاصة التي تمر عبر مضيق جبل طارق.

كان سقوط الزمالة العاصمة المتنقلة للأمير عبد القادر بتاريخ 16 ماي 1843م في معركة: "عين طافين بجبال عمور في غيابه هو وكان ذلك ضربة قاضية له ولقواته ولأنصاره"(11) على يد القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال فأصبح الأمير في وضعية حرجة خاصة بعد تحالف الفرنسيين مع بعض الخونة واستحالة وصول الإمدادات من الخارج بعد سيطرة الفرنسيين على السواحل والموانئ الجزائرية، عندها اضطر الأمير إلى اللجوء إلى المغرب فنزل بعين زورة في جبال الريف قرب سواحل البحر الأبيض المتوسط (12). وتكمن الأسباب التي أدت إلى لجوءه إلى المغرب من جديد إلى ما يلي :

- قبول السلطان على توجه الأمير إلى المغرب كونه كان عود نفسه عنه، وفي أيامه كان يخطب باسمه على المنابر بتلمسان وأم العسكر ومليانة والمدينة وغيرها كمازونة والقلعة ويمده بالأسلحة(13).

- اتخاذ المغرب كقاعدة آمنة يلجأ إليها الأمير كلما اشتدت به الكروب في الجزائر جراء الحصار الشديد المفروض عليه من قبل الفرنسيين وبسبب الخيانات.

- تدريب الجيش الأميري على الأراضي المغربية الآمنة وتسليحه.

- إنقاذ ما أمكن من بقايا الزمالة وحفاظاً على النساء والأطفال والشيوخ الذين يمثلون المدد الطبيعي للأمير.

- تلقي الدعم من سكان المغرب الشرقي وذلك بشرح القضية لهم وإقناعهم على الجهاد لأن المصير واحد والدين واحد(14).

لذلك كانت مشاركة المغاربة جنبا إلى جنب مع الجزائريين في الكثير من المعارك وبلغوا الأمير إلى المغرب أصبح الصراع ثلاثيا حيث نجح الأمير بخبطه هذه إلى استمالة المغاربة في الوقوف في صف واحد مع جيشه ضد فرنسا.

كما استغل العداء والصراع بين المغاربة والفرنسيين بسبب الموقف المغربي من الصراع الجزائري الفرنسي.

فما مدى صمود المغرب أمام مخططات فرنسا الساعية إلى إبطال هذا المدد المغربي للأمير؟ وما هي رهانات الأمير للحفاظ على هذا الدعم وأحكام الصراع بين الدولتين الفرنسية والمغربية؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تكمن في طبيعة الموقف المغربي من الإجراءات الفرنسية. وهذا ما سنحاول الأجابة عنه وبالتالي فإن المطالب التي وجهها الفرنسيون للمغرب كانت كالآتي:

- منع الأمير من التوغل في الأراضي المغربية واتخاذها كقواعد للمجاهدين.
- توقف المغرب عن دعم الأمير بالسلاح والمال.
- إلقاء القبض على الأمير عبد القادر وتسليمه للسلطات الفرنسية.
- حق مطاردة الفرنسيين للأمير في الأراضي المغربية، هذه النقطة هي بالذات التي ستفتح باب المواجهة المباشرة مع فرنسا والمغرب الأقصى حول الجزائر.

ثالثا: السلطان المغربي يعلن الحرب على الأمير:

بعد توقيع معاهدة طنجة سبتمبر 1844م والتي كان من أهم بنودها أن يحل الجيش المغربي المرباط على الحدود الجزائرية واعتبار الأمير عبد القادر خارجا عن القانون والقبض عليه وتسليمه ومنعه من دخول الأراضي المراكشية ومعاملة فرنسا معاملة الدولة الأكثر رعاية في الشؤون السياسية والتجارية ... وكان هم السلطان هو القضاء على الأمير خوفا على عرشه⁽¹⁵⁾.

على ضوء هذه المعاهدة لجأ إلى تجنيد كتبية لمحاربة الأمير ووضعها على أهبة الاستعداد في تازا وفاس وكلف خاله بوزيان وراسل قبائل بني سنان وأهل أنكاد يأمرهم بالسمع والطاعة لخاله وضرورة مناصرته لمحاربة الأمير عبد القادر إذ يقول: "...فها نحن أمرنا خالنا الأمجد الشيخ بوزيان بالقيام على ساق الجد في إخراج، أي عبد القادر، ودائرته من أيلتنا السعيدة طوعا أو كرها

وحسم مادة فتنتهم وضلالهم فكونوا معه يد واحدة وشدو عضده على ذلك حتى يقض الفرض إن شاء الله تعالى وكفوا إخوانكم عن متابعتهم ونهوضهم عن مقاطعته فإن من قاطعه وقيد متابعتهم فقد أحاط نفسه ودينه، ومن تبعه وشد عضده وكثر سواده فقد تعرض لسخط الله ورسوله وسخطنا لا ينجح له زرع ولا ضرع، وقد أعذر من أنذر... وأن من اتبعه فقد باء بالضلال والردى، وحاد عن شريعة الهدى...“ (16).

وبذلك أعلن السلطان عدائه الظاهر للأمير، وسل سيف الحرب عليه و صدرت أعمال تعسفية ضد الأمير وجيش المقاومة ، حيث يقول شيخ الإسلام محمد بيرم الخامس في كتابه صفوة الاعتبار:”بقي الأمير سيدي عبد القادر مدافعا ومهاجما إلى أن استولت الغلطات النفسانية المخالفة للديانة الإسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرنسيين على محاربة الأمير المشار إليه، وقطع عنه السلطان خطة التجائه جهات الصحراء، فاضطر الأمير إلى التسليم للفرنسيين، ورحم الله الإمام محمد عبده حيث قال: إنما تتم نكاية الأعداء بخيانة الأصدقاء...“ (17).

ونتيجة لتكرار هذه الاعتداءات اضطر الأمير إلى مكاتبة سلطان المغرب في مارس 1847م وطالبه بضرورة كف القبائل المعتدية وحذره من رفض هذا الطلب بقوله:” فإنني كاتبكم أولا والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديهم على من تبغني وسوء معاملتهم لهم لأنهم كلهم أولاد دين واحد وشريعة واحدة فلم يأتيني جواب عن ذلك، أنا صابر ومتحمل لما يجدونه كراهة سفك دماء المسلمين مدة ستة أشهر فان لم تردعهم الآن عن أفعالهم إنني التزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف أتباعي ولذا بادرت بإخباركم والسلام“ (18) ويمكن استخلاص الملاحظات التالية:

- 1 - استخدام الأمير الأساليب السلمية لحل الخلاف مع المغاربة والسلطان حفاظا على روابط الأخوة والدين رغم أن الأمير حسب الرسالة كان بإمكانه ردع تلك القبائل وإجبارها عن وقف الاعتداء.
- 2 - أن الأمير لم يكن عدوانيا ولم ينس الجميل لذا كان كارها لسفك الدماء مصرا على التعاون بين الشعبين في مواجهة الكافر، فبعد الجزائر يأتي المغرب.

أما جلال يحي فيذكر " في الوقت الذي قام فيه المغاربة بإجبار الأمير على ترك أراضيهم و نهبوا منه ما يقرب من مائة من دواب الجمل محملة بالحبوب " (19) .

وكاد الأمير أن يفقد حياته في عين زورا كما ضيع 8 من أبرع قياده الذين قبض عليهم وأرسلوا مكبلين إلى فاس في هذه الظروف تخلت قبائل الريف عن الأمير وانضوت تحت لواء السلطان في معاداة الأمير (20). وفي شهر ماي 1847م اتصل الأمير بزعيم قبيلة الكرارمة حمدون عبد الرحمن الكرومي الذي طلب إليه أن يخبر ولي العهد بفاس باستعداداته للخروج نحو الصحراء وقد أشار إلى هذا الاتصال السلطان نفسه يوم 20 ماي 1847م ونص ما جاء فيها: " إن الفتان وعد بالخروج إلى الصحراء على شروط أشار إليها، والتزم ابني عبد الرحمن بذلك ... " .

عندها أعجب كثيرا الفرنسيون بموقف السلطان الصارم من الأمير فكتب جيزو يوم 23 أوت 1846م ما نصه: " إنني أعتقد إننا قد توصلنا أخيرا إلى تحريك سلطان المغرب الكسول، إن قلقه يظهر أمام الجميع من الأوامر المتعددة التي يصدرها في كل ناحية، ومن البلاغات التي يرسلها إلى شرق سلطنته إنني أعتقد أن الوقت يقترب من حل، وعلينا أن نأمل بشدة في أن يتم ذلك دون أن نجبر على التدخل الفعلي للحدود " (21) .

وعزز الفرنسيون مساعيهم لدى السلطان المغربي حيث أرسلوا ليون روش لهذه المهمة يوم 17 ديسمبر 1846م حيث شرح السلطان النية الحسنة لفرنسا في اكتساب ود وصداقة السلطان وضرورة محاربة الأمير لأنه يمثل خطرا على العرش المغربي و وصفوه بأنه هدفه الأول و الأخير هو إزاحة السلطان عن الملك فمكان من هذا الأخير إلا أنه أبدى حقه و وعد أنه سيفعل كل ما في وسعه لمطاردة الأمير شريطة أن لا تقوم فرنسا بغزو بلاده (22) . و قد انطلت الحيلة على السلطان حسب محتوى الرسالة الموجهة إلى ولي العهد المغربي: " ولا تقصر في تحريض العمال المقاتلين والقبائل على توصيل هرده و إبطال كيده، و ضعف لهم أمره وقلل فأيدتهم في العجز عنه وذكرهم عاقبة مكروه وما يضر من نكده ولا تألوا جهدا في ذلك حتى يأخذه الله ويرده كيده في غره و يجعل دايرة سوء عليه. فانه أعدى أعداء المسلمين، و فتنته أكبر عليهم من

فتنة المشركين ولا تال جهدا في إمداد المحلة بكفايتها فإنك بذلك تعان على عدوك، فدين الناس اليوم هو الطمع “ (23).

وفي رسالة أخرى يأمره بضرورة اتخاذ جميع التدابير الصارمة ضد الأمير وأن يعلن حربا لا هوادة فيها ضده إذ يقول: ” أما بالنسبة إليكم فاستخدموا كل مجهوداتكم ضد المهيج، واستخدموا كل نشاطكم لوقف تحركات وعمليات أعوانه في هذه المنطقة وبشكل يجعل طرده يضع حدا لحديث أعداء الدين وعندئذ نستخلص القبائل من طغيانه، إذ انه أظهر حقدا مهينا لحكومتنا، ويبحث عن الفرص لمضايقتنا، ليخلعنا الله برحمته من هذا الرجل ويفسد أعماله “ (24).

ونتيجة لهذه الأوامر الصادرة عن السلطان والتي كلها تدعوا إلى مقاتلة الأمير ومطاردته وإخراجه من الأراضي المغربية نجحت هذه الخطابات في تأليب بعض القبائل المغربية التي قلبت ظهر المجن للأمير. وهذا ما يوضحه السلطان دائما من خلال رسائله الموجهة إلى ولي عهده ومنها ما جاء في نصها بالقول: ” وبما وقع له القتال لمطالبة وفراره وسطهم وإيقاع بحرب الأحلاف فقد كنا نظن إعانته وإيواءه وإعانة الإسلام والمسلمين فإذا به أعدى أعدائهم ومن خدعنا بالله انخدعنا له فلا بد قف في التحريض على السكان ولا تقصر حتى يريح الله منه العباد وينقطع أمره في تلك البلاد والسلام “ (25).

وقد حاول الأمير توسيط بعض الأطراف في أزمتة مع سلطان المغرب فراسل في هذا الشأن حاكم مليلية الأسباني خلال شهر أفريل وماي 1847م⁽²⁶⁾ ورغم محاولات هذا الأخير إلا أنها باءت بالفشل أمام إصرار السلطان المغربي على مطاردة، وأمام الضغوطات الفرنسية المتواصلة لإرغام السلطان المغربي على طرده.

وفي شهر ماي قام الأمير على القبائل المعتدية على جيوشه وعلى الدائرة بعمليات تأديبية ضدها وقف رجال الطريقة الطيبية إلى جانب جهود السلطان حيث قام شيخهم الحاج العربي الوزاني بإرسال رسالة إلى أتباعه في الجزائر يحثهم فيها على عدم مقاومة الفرنسيين وضرورة محاربة الأمير عبد القادر لأنه شوه الدين والدين منه براء. وجهاز السلطان جيشا قوامه 5 آلاف جندي انطلقا من تازة ضد الأمير وتنصيب محمد بن سالم الأحمر والحاج الوليشكي زعيم قبائل وليشك. وهذا ما ذكره الأستاذ حامت بالقول: ” فجد بأمره وحرص الأحمر على الجد في اجتثاث أصله والسعي في محو شره ... فأوص

الأحمر بالتحريض والحرص على قضاء الأمر من غير طول
يوجب الملل والضجر، وليحرز من مكاييد الفتان وخداعه ويجد في
طرده وإبعاده ويقابله في تلونا ته مما يبطل سحره، فانه أقوى منه
كبدا وأطول منه في الدهاء" (27).

إن هذه الحرب المعلنة من قبل السلطان المغربي استوجبت من
الأمير مراسلة علماء مصر يشرح لهم الجرائم التي كان يرتكبها هذا
السلطان ضده وضد المجاهدين، فأجابه الشيخ عليش بوجوب محاربة
هذا السلطان لأنه أصبح مارقا عن الدين (28)

رابعا: الأمير عبد القادر والخليفة العثماني:

تكمن أهمية العلاقة بين الأمير عبد القادر والخليفة العثماني في
كونها تشكل الحلقة المفقودة في الأحداث التي تميزت بها السنوات
الأولى للاحتلال الفرنسي. وتمثل في نفس الوقت نقطة ضعف في
المقاومة الجزائرية كما أنها تمثل صورة حقيقية ومثالا حيا لواقع
العلاقات بين الزعماء المسلمين وأسلوبهم في التصدي للغزو
الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

فمنذ بويغ الأمير عبد القادر أحس أن مهمة ثقيلة ألقيت على عاتقه
وهي تحرير البلاد من قبضة الصليبيين الغزاة. وحمل لواء الجهاد في
سبيل الله "أما بعد فاعلموا معاشر العرب والبربر، أن الإمارة
الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل أمرها الآن إلى ناصر
الدين السيد عبد القادر بن محي الدين، وجرت مبايعته على ذلك فمن
سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة وأداء البيعة لإمام منكم" (29).

وعند مبايعته لم يهتم الأمير كثيرا بعلاقته مع الباب العالي بل في
الكثير من الأحيان أظهر ميولا لسلطان المغرب، حيث بعث برسالة
له في فاتح ربيع الثاني 1260 هـ قائلا: " ملاذنا وعمدتنا وقاطبة،
أهل الإسلام الذي بلغ به قصدا ومراما ورجع به مقام أهل الإيمان
على كل مقام، متعنا الله بنصرته على الدوام ومر الليالي والأيام. ذلك
الإمام الهمام الذي اشتهر كنار على رؤوس الأعلام... مولانا عبد
الرحمن ابن هشام، على مولانا لا يتناهي حصره من السلام..." (30)
ومن خلال هذا الكلام يفهم مدى ميل الأمير عبد القادر لسلطان عبد
الرحمن وعدم اكترائه بالخليفة العثماني.

لكن ما هو مؤكد أن ثمة عوامل تحكمت وحددت مصير العلاقة بين الأمير والخليفة العثماني بعضها أن الأمير عبد القادر كان لا يميل إلى العنصر التركي ولا يطمئن إلى جماعة الكراغلة ولا يثق بموظفي البابليك وذلك بسبب أصوله العربية الهاشمية وانتمائه للطريقة القادرية.

- إضافة إلى تكونه العربي الإسلامي فهو سليل عائلة علم فأبوه محي الدين كان شيخ للزاوية وللطريقة القادرية. كما أن تربية الأمير ترفض الظلم والاستبداد. هذا الظلم الذي سلب على الأمير ووالده عندما أحتجز في وهران عندما كان متوجها لتأدية مناسك الحج، لذا لم يكن يعترف بشرعية الحكام الأتراك وعدم التسليم بأحقيتهم في حكم البلاد⁽³¹⁾.

- لقد عبر الأمير عن نغمته من إزالة النظام العثماني في الجزائر والذين كان همهم الوحيد هو ملأ البطون وإرهاق الأهالي بالضرائب بعد أن عجزوا عن صد العدوان الصليبي على الجزائر باستسلام الداي حسين لشروط الهزيمة في 05 جويلية 1830 وقد حمل الأمير هؤلاء جميعا مسؤولية ما وقع للجزائر من ويلات ومحن حيث كاتب السلطان عبد المجيد مظهرا نغمته "ما من مدينة من مدن الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينشارية هم دعائهم إليها ومن سببها ... فذهبوا إلى تلمسان، أي الكفار باتفاق الينشاري الذين بها..."⁽³²⁾.

- التنافر الذي كان موجودا بين الأمير عبد القادر وبقايا النظام التركي في الجزائر وعلى رأسهم أحمد باي⁽³³⁾.

- الوضع الاجتماعي الذي فرق بين الأمير والعنصر التركي في الجزائر مرده إلى واقع العلاقة بين الريف والمدينة فسكان المدينة كانوا أفضل حالا من سكان الريف رغم أن الريف الجزائري كان يحتوي خزانة مادية واقتصادية وبشرية أهله لكي يخوض المقاومة ولفترة طويلة والحقيقة أن المقاومات الشعبية كانت بحق انتفاضات للريف الجزائري⁽³⁴⁾.

غير أن تجدد القتال بين الأمير عبد القادر وفرنسا بعد نقضها لمعاهدة التافنة 20 نوفمبر 1839 هذه الحرب التي سببت توتر في العلاقة بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي إضافة إلى سوء التفاهم بين الأمير وأحمد باي وبعد خيبة أمله في بريطانيا التي رفضت كل وساطة بين الأمير وفرنسا⁽³⁵⁾. توجه الأمير عبد القادر إلى الباب العالي ففي 24 أكتوبر 1840 كتب إلى السلطان العثماني

يشرح حالة الجزائر، وتفوق جيش العدو وقلة المساعدة، لاستمرار جهاده ضد الفرنسيين "أسلمنا إخواننا المسلمون وتركونا أسارى في يد العدو، فهم لنا ظالمون، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك، ومنعونا من شراء ما نتقوى به على العدو الكافر، خوفا منه"⁽³⁶⁾. وفي هذه الرسالة وصف الأمير السلطان العثماني بأنه خليفة المسلمين وحامي بيضة محمد صلى الله عليه وسلم⁽³⁷⁾ والتمس منه المساعدة لاستمرار الجهاد، وطلب منه أن يصفح عن خطاياها السابقة مبررا ذلك بما يلي:

- إلقاء اللوم على اليناشرية فيما أصاب البلاد من غزو. حيث نجد ذلك واضحا في رسالة بعث بها إلى السلطان عبد المجيد المؤرخة في 26 ديسمبر 1836 "أن اليناشرية الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا على طاعة أمير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم، العدو الكافر الغشوم..."⁽³⁸⁾.

- تحمل الأتراك سبب ضعف الجزائريين وعجزهم في صد العدوان قائلا "وأهل هذا الوطن بالأصالة ضعاف، عاملهم عمال الجزائر في السابق بالظلم الكبير والاعتساف"⁽³⁹⁾.

- حاول تبرير إمارته على الجزائريين قائلا "إن الناس احتاجوا إلى من يضبط جهادهم ويقوم بجمع أمرهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم".

- أما عن تلك المعاهدات التي أبرمها مع الفرنسيين والتي لم ترقى إلى رضا الدولة العثمانية وخاصة ديمشال والتافنة فيبرر موقفه هذا أما السلطان عبد المجيد في رسالة له "لم أكن متفقا مع الفرنسيين ولم ذلك البتة وحسب مبادئ الاسلام يسمح باستعمال مبادئ الحيلة والمداينة مع العدو، وهذا ما قمت به اتجاه الفرنسيين"⁽⁴⁰⁾.

- كما يرى الأمير في رسالة أخرى أن معاهدة التافنة لم تكن أبدا تفريطا في باقي الأقاليم الجزائرية إنما كان تكتيكا منه لاسترجاع جميع الأقاليم واستكمال وحدة واستقلال الجزائر إذ يقول في رسالة أخرى للسلطان "أجبنا الكافر بأن المسلمين شيء واحد، وإننا لم نهمل قسنطينة، ولكن الكافر رفض فانقطع السلم وأعلنت الحرب"⁽⁴¹⁾.

لقد باءت كل هذه التبريرات بالفشل حيال محاولات التقارب بين الأمير عبد القادر والدولة العثمانية. حيث لم يتجاوب الحكام العثمانيون مع ذلك حيث طالبت السلطة العثمانية من الأمير عبد

القادر في رسالة موجهة من السلطان إلى الأمير عبد القادر إلى ضرورة مواصلة الجهاد وأن لا يعقد أية معاهدة مع أعداء الدين وأن يحث المسلمين على الجهاد الذي هو واجب مقدس على كل مسلم، أما الإعانة التي التمسها الأمير عبد القادر فإنه يجب انتظار نتيجة المساعي السياسية التي يمكن أن تؤدي إلى حل ما.

إن الضعف المتناهي للدولة العثمانية والأزمات التي عصفت بها في البلقان واختلال التوازن بينها وبين القوى الأوروبية دفعتها إلى التخلي عن دعم الأمير عبد القادر، هذا التخاذل تضافر مع الحرب التي أعلنها سلطان المغرب على المقاومة الجزائرية كل هذه الظروف مجتمعة إضافة إلى ظروف أخرى هي التي دفعت الأمير في الأخير إلى توقيف القتال.

الهوامش:

- 1 - مصطفى الحسني: ينحدر من نسل إدريس الأكبر، استقر في مدينة معسكر ومن نسله ينحدر الأمير عبد القادر. أنظر برونو إيتين: عبد القادر الجزائري، ط2، ترجمة ميشال خوري م. و. ن. إ. الجزائر 2001.
- 2 - القادرية: طريقة صوفية تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني، عرفت في بعض الأقطار بالكيلانية. المصدر: مؤيد العقبي صلاح: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، مكتبة الشرق لبنان 2002 ص 143.
- 3 - من العلماء الذين توجه لهم الأمير طلبا للفتوة في قضايا الجهاد وكيفية التعامل مع المنشقة العلامة ابن حفص عمر الفاسي وابن علي الحسن بن رحال والفقير الزروالي ... الخ. حول الموضوع بالتفصيل عد إلى، ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، ص383.
- 4 - يحي جلال: السياسة الفرنسية في الجزائر (1830 - 1900)، ط1، دار المعرفة القاهرة 1959، ص52.
- 5 - مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائر، 1964، ص19.
- 6 الأمير عبد القادر: مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849)، ط1، تحقيق محمد صغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، شركة دار الأمة الجزائر 1995، ص95. وكذلك سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، م. و. ك. الجزائر 1992، ص172.
- 7 - محمد السعيد بن محي الدين: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرتة، مخ. م. ح. ج. رقم9، ص12.

⁸ يحيى جلال : السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 - 1900 ، مرجع سابق ، ص54

⁹ الدائرة: ج) (الدائرة) زيدت في آخرها الهاء عوضا عن ياء النسبة لتعيين الأشخاص المنتسبين إلى الدوائر و تمييزها من الدوائر التي تخص لتعيين المكان. والدائرة اسم المكان الذي ينزل به ، أخذ من الهيئة التي تكون عليها الخيام عندما تضرب في شكل دائرة عند حط الرحال، وتوسع في معناها فأطلق على الجنود والأشخاص المحيطين بقائد العسكر أو المخيم و المؤلفين لحاشيته. ثم ميز بينها وبين الزمالة التي هي أعظم منها من حيث الحجم أو اعتبار شخصية قائدها والاستعمال كان شائعاً في العهد العثماني. لما قضى الفرنسيون على المدن واستولوا عليها تبادر للأمير أن يتخذ عاصمة كبيرة رحالة مؤلفة من خيام كثيرة ومضارب أثيرة. وكانت هيئتها شبه دائرة حسنة الانتظام خيامها مخروطية الشكل متناسبة البعد، كل خيمة تضم 33 نفرا. فظهرت الدائرة للوجود و سمي ما يخص منها " الزمالة " و ما يخص الأعيان " الدائرة " و ما يخص الجند " المحلة ". وكان لها منظر جميل ترى منازلها من بعيد كأنها مدينة حافلة ... تشمل على مائتي ألف نسمة. حول هذا الموضوع أنظر بالتفصيل **محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر**، مصدر سابق، ص104. وكذلك **الأمير عبد القادر: المذكرات**، مصدر سابق، ص160، 161. أنظر الملحق رقم 17.

¹⁰ محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، نشر مشترك : ش. و. ن. ت. م. ج. ط. الجزائر سبتمبر 1982، ص170 وما بعدها

¹¹ **Paul Azan : L'Emir Abd-el-Kader, 1808-1883. Du fanatisme musulman au patriotisme français**, Hachette 1925, P P 161, 196.

¹² **محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر**، مصدر سابق، ص439.

¹³ **محمد السعيد الحسني: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته / مج م ح**، ج9، ص12

¹⁴ **أديب حرب: التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر (1808 - 1874)** ، ج1 ط1 ، ش. و. ن. ت. الجزائر 1983 . ، ص452 ، و كذلك محمد بن عبد القادر : مصدر سابق ، ص439 .

¹⁵ **تشرشل: حياة الأمير عبد القادر**، ط2، ترجمة وتعليق د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1982، ص289

¹⁶ **محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر**، مصدر سابق، ص317، 318. أنظر الملحق رقم 10.

¹⁷ **شيخ الإسلام التونسي محمد بيرم الخامس: صفوة الاعتبار**، ج4، طبع بالقاهرة 1303هـ، ص10.

نقلا عن الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج4 و ط1 ، د. م. ج. الجزائر 1982 ، ص221 ، 222.

¹⁸ **محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر**، مصدر سابق، ص470، 471.

- ¹⁹ يحيى جلال و آخرون: جلال يحيى، نصر مهنا محمد، سوسن سليم: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، دار المعارف القاهرة مصر 1982، ص292.
- ²⁰ Hamet : le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, Présenté par Ali Tablit , Thala éditon , les éditions Chihab(sd) O .P . CIT 1998. P95.
- ²¹ يحيى جلال و آخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، مرجع سابق، ص284.
- ²² محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، نشر مشترك: ش. و. ن. ت. م. ج. ط. الجزائر سبتمبر 1982. ص196 وما بعدها.
- ²³ Hamet : le gouvernement Marocain ,Op.cit. , P87
- ²⁴ ibid , P76 à P78
- ²⁵ Hamet : le gouvernement Marocain ,Op.cit. , P89.
- ²⁶ يحيى بوعزيز: مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بملييلية، ط2، د. م. ج. الجزائر 1985، ص11.
- ²⁷ Hamet : le gouvernement Marocain ,Op.cit. , P97 .
- ²⁸ هو محمد بن أحمد بن محمد بن عيش، أبو عبد الله (1217هـ - 1299هـ / 1802م - 1882م) فقيه مغربي الأصل ولد بالقاهرة و تعلم بالأزهر الشريف وولي مشيخة المالكية فيه.فتح العلي المالك على مذهب الإمام ملك جمع فيه فتاويه. يراجع معجم الأعلام، مجلد6، ص19. وأنضر أيضا - فتاوي عيش: ج1 ص277، مطبعة بولاق القاهرة 1300م نقلا عن الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج4، ص233.
- ²⁹ LAROUÏ Abdallah I histoire du Maghreb un 1 essai de synthèse .paries 1975.T1er .2. p 105.
- ³⁰ الناصرى أبو العباس أحمد: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، الدولة العلوية، ج9، تحقيق وتعليق ولديه جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب . ص27.
- ³¹ ناصر الدين سعيدوني: علاقة الأمير عبد القادر بنظام الإدارة التركية بالجزائر، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر، 1983، ص55.
- ³² أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية: حمدان خوجة، أحمد باي، الأمير عبد القادر، والدولة العثمانية، مجلة التاريخ، العدد 4، 1977، ص ص 102، 103.
- ³³ نفسه، ص39.
- ³⁴ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في العهد العثماني 1800-1830، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1977، ص
- ³⁵ Temimi, le Beylik de Constantine, Document N° 21, Lettre Du 16-01-1838.
- ³⁶ أرجموند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1827-1847، ترجمة عبد الجليل التميمي، تونس، الطبعة الثانية، 1974، ص68.

³⁷ Darcy, J. Cent année de rivalité coloniale, L'Afrique, Paris, Perrin 1994, p 149.

³⁸ عبد الجليل التميمي، مرجع سابق 221

³⁹ نفسه، ص ص 222-223.

⁴⁰ نفسه، ص 202.

⁴¹ المدني، أبطال المقاومة الجزائري، مرجع سابق، ص 102. وكذلك التميمي، بحوث ووثائق مرجع سابق، ص ص 190-200.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- 1 () - ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية بيروت لبنان 1384هـ-1964م.
- 2 () - ابن محي الدين عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849) ، ط1 ، تحقيق محمد صغير بناني ، محفوظ سماتي ، محمد الصالح الجون ، شركة دار الأمة الجزائر 1995 .
- 3 () - التسولي علي : أجوبة التسولي على مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1996 .
- 4 () - تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر ، ط2، ترجمة وتعليق د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1982.
- 5 () - الناصري أبو العباس أحمد : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، الدولة العلوية ، ج8 و 9 ، تحقيق و تعليق ولديه جعفر و محمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب .
- 6 () - ابن زيدان مولاي عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ج5 ، مطبعة الرباط المغرب 1352هـ - 1933م .
- 7 () - السليمانى ابن عبد الله : البيان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط1 ، مطبعة الأمنية الرباط المغرب 1391هـ / 1971م .

ب- المراجع:

- 1 () - برونو إتين : عبد القادر الجزائري ، ط2 ، ترجمة ميشال خوري م. و. ن. إ. الجزائر 2001 . و الترجمة و النشر الرباط المغرب 1396هـ / 1976م
- 2 () - بوعزيز يحيى : مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليطية ، ط2 ، د. م. ج. الجزائر 1985 .
- 3 () - بوعزيز يحيى : علاقات الجزائر مع دول و ممالك أوربا 1500 - 1830 د. م. ج. الجزائر 1980 .
- 4 () - بوعزيز يحيى : بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري ، ط1 ، دار الكتب الشرقية تونس 1376هـ الموافق لـ 1957م .

- 5 () - التميمي عبد الجليل : بحوث و وثائق في التاريخ المغربي ، الجزائر وتونس وليبيا 1816 – 1871 ، ط2 ، د.م. ج. الجزائر 1985 .
- 6 () - جلال يحي : السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 - 1900 ، ط1 ، دار المعرفة القاهرة 1959 .
- 7 () - جلال يحي ، نصر مهنا محمد ، سوسن سليم : مسألة الحدود المغربية الجزائرية ، دار المعارف القاهرة مصر 1982 .
- 8 () - حرب أديب : التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر (1808 – 1874) ، ج1 ط1 ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1983 .
- 9 () - حرب أديب : التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر (1808 – 1874) ، ج2 ط2 ، دار الرائد للكتاب الجزائر 2004 .
- 10 () - حساني مختار : ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاث مخططات ، طبع دار الحكمة 2007 .
- 11 () - الزبيري محمد العربي : الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، نشر مشترك : ش.و.ن.ت. ، م. ج. ط. الجزائر سبتمبر 1982 .
- 12 () - سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1 ، م. و. ك. الجزائر 1992 .
- 13 () - سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية ، ج1 ، دار البصائر الجزائر 2007 .
- 14 () - سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930) ، ج2 ط3 ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1983 .
- 15 () - سعد الله أبو القاسم : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1985 .
- 16 () - الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، ج1 و 4 ط1 ، د.م. ج. الجزائر 1982 .
- 17 () - مؤيد العقبي صلاح : الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، دار البراق ، مكتبة الشرق لبنان 2002 .
- 18 () - الميللي مبارك بن محمد الهلالي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائر 1964 .

ج- الموسوعات والأطالس والقواميس :

- 1 () - المنجد في اللغة و الإعلام ، الطبعة الأربعون ، دار المشرق ، بيروت 2003 .
- 2 () - المنجد في اللغة و الإعلام ، الطبعة الثلاثون ، دار المشرق ، بيروت 1988 .

د- المراجع باللغة الفرنسية :

- 1) - Azan Paul : Trois héros de Sidi brahim , Courby de cognord , Saint Alphonse , S. D. 1
- 2) - Hamet Ismail : le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger , Présenté par Ali Tablit , Thala éditons , les éditions Chih ab(sd) O .P . CIT 1998.
- 3)- LAROUÏ Abdallah l histoire du Maghreb un 1 essai de synthèse .paries 1975.T1er .2.